حرب «يوم الغفران» بداية انحسار صهيوني ؟

صبري جريس

قليلة هي الهزائم التي منيت بها الصهيونية خلال العقدين الاخيرين ، والشبيهة بتلك التي وقعت « يوم الغفران » ، ٦ تشرين الاول ١٩٧٣ . وكثيرة هي النتائج بعيدة المدى التي ستنجم عن هذه الهزيمة في الجانب الاسرائيلي ، والتي يتوقع ان يجني العرب والفلسطينيون ثمارها في المستقبل ، القريب والبعيد معا .

ليس من السهل الان ، وحرب « يوم الغفران » ، الحرب العربية ــ الاسرائيلية الرابعة ، لا تزال مستعرة ، الخوض في تقويم نتائج هذه الحرب او ابعادها ، ولا معرفة الطريقة التي يمكن أن تنتهي بها . غير أن ما تم انجازه حتى الان ، على الجانب العربي، كاف لأن يدفع المرء الى القيام بمحاولة اعادة النظر في عدد من الافتراضات التي كانت قائمة حتى نشوب الحرب ، في الجانب الاسرائيلي ، واستطلاع مدى التغييرات التي تنتج عن ذلك لديه ، خصوصا وان مجرد نشوب الحرب واستمرارها بالشكل الذي تسير فيه ، كاف لان ينسف عددا من « البديهيات » التي كانت سائدة في الجانب الاسرائيلي ، وبشكل سيكون له ، دون شك ، تأثيره في نواحي عديدة من العقلية الاسرائيلية ، حاضرا ومستقبلا .

ان أول ما يلفت النظر في هذه الحرب هو بدايتها ، من حيث التوقيت ــ « بالرجل اليمنى » ، اذا ما استعملنا تعبيرا اسرائيليا ــ قبل اي شيء آخر . اذ يشك فيما اذا كان هناك وقت آخر ، على مدار السنة ، اكثر ملاءمة لبدء حرب مع اسرائيل في الساعة الثانية من بعد ظهر « يوم الغفران » ، أكبر الاعياد اليهودية على الاطلاق ، بعد ان يكون الاسرائيليون قد قضوا ساعات عديدة متواصلة من الصوم والصلاة ، بدأت عند غياب شمس اليوم السابق . بينما ، من ناحية ثانية ، تكون جميع المصالح العامة والخاصة ، عدا الحيوية جدا منها ، معطلة في ذلك اليوم (خصوصا وان «يوم الغفران» صادف ، هذه السنة ، يوم سبت) مما يجعل عمل دوائر التجنيد الاسرائيلية صعبا ويعرقل نشاط أجهزة حربها، بينما يكون الكثير من الجنود والضباط في اجازات . ويبدو، من تصرف السلطات الاسرائيلية خلال الاربع والعشرين ساعة الاولى لنشوب القتال ، انها اخذت على حين غرة وساد الاضطراب تصرفاتها . فبينما كان الساعون يتجهون الى دعوة الوزراء ، من صلواتهم في الكنس المختلفة ، الى حضور اجتماع طارىء للحكومة ، توقفت الاذاعة الاسرائيلية ، بعد فترة قصيرة من بث النداءات بالشيفرة لدعوة الاحتياطي ، كعادتها في السابق ــ وكما يبدو نتيجة الفوضى التي سادت ، وانتقلت الى الحديث صراحة عن صدور اوامر بتجنيد جزئي ، ثم كامل ، للاحتياطي . ولا شك في أن الذين قرروا البدء بالحرب في الساعة التي تم فيها ذلك ، عرفوا كيف يقررون ، وربحوا نتيجة ذلك وقتا ثمينا لاحتلال مواقع أو احراز تقدم او انجازات لا تعوض .

أما الناحية الثانية ، التي تلفت النظر في هذه الحرب ، فهي التنسيق التام على الجبهتين ، المصرية والسورية ، ثم اجراءات التضامن العربي مع الدولتين المقاتلتين .